سُورَةُ الأَحْقَافِ

التَّعريف العامُّ بالسّورة:

المكيُّ والمدنيُّ:

سورة الأحقاف كلُّها مكّيَّة بالاتِّفاق[1]، ونقل ابن عطيَّة استثناء آيتين منها، وهما: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف: 10]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: 35][2]، وزاد السّيوطي على الآيتَين السّابقتَيْن آيات أربع، وهي قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]... ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: 18][3]، ويبدو أنَّ العلماء تفاوتوا في الحكم على أسانيد هذه الرِّوايات، ولكن المحقّقونَ من العلماء على مكّيّتها جميعها.

ترتيبُ النُّزول وترتيب المصحف وعدُّ الآي:

هي السّورة السّادسة والأربعون في التَّرتيب المصحفيِّ الشَّريف، وهو التَّرتيب الثّابت، والمُعوَّل عليه عند أهل النَّظر والتَّحقيق، جاءت بين سورتَي الجاثية ومحمَّد، وهي الخامسة والسُّتّون في ترتيبها النُّزوليِّ[4]، نَزَلَتْ بين السّورتَيْن السّابقتَيْن، وفصول السّورة مترابطة، وآياتها متوازنة ممّا يسوِّغ القول: إنَّها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة[5]، وَهِي ثَلاثونَ وخمس آيات فِي الكوفيِّ، وأربع فِي عدد الباقِينَ[6].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 178.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 91.
(3) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 65.
(4) دروزة، التّفسير الحديث: 5/ 7، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 6.
(5) دروزة، التّفسير الحديث: 5/ 7.
(6) الدّاني، البيان في عد آي القرآن، ص: 227.

اسم السورة ومناسبة تسميتها:

سورةُ الأحقاف اشتهرت بهذا الاسم، ولم يذكروا لها أسماء أخرى

وردت تسميتها بسورة (الأحقاف) في كتب السُّنَّة والتَّفسير، فقد ذكر البخاريّ تسميتها بـ(حم الأحقاف)[1]، وقد ذكر الكثيرون أنَّ تسميتها بالأحقاف إنَّما كان لورود هذه اللَّفظة فيها في قوله تعالى: ﴿*وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، يقول ابن عاشور: وتُسمَّى الأحقاف؛ لورود لفظ: ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف: 21] فِيها، ولَم يَقَع في مَوضِعٍ آخَرَ مِنَ القُرآنِ[2]، وقد حاول البقاعيُّ الرَّبط بين اسمها ومقصودها، فقال: ومقصودها: إنذار الكافرين بالدَّلالة على صِدق الوعد في قيام السّاعة، اللازم للعزَّة والحكمة الكاشف لها أتمَّ كشف، بما وقع الصِّدق في الوعد به، من إهلاك المكذِّبين، وأنَّه لا يمنع من شيء من ذلك مانع؛ لأنَّه لا شريك له، فهو المستحقُّ للإفراد بالعبادة، وعلى ذلك دلَّت تسميتها بالأحقاف، بما دلَّت عليه قصَّة قوم هود ﷺ من التَّوحيد وإنذارهم بالعذاب دنيا وأخرى، ومن إهلاكهم، وعدم إغناء ما عبدوه عنهم، ودفنهم تحت أحقافهم، بما تحقَّق من إعراضهم وخلافهم، ومباعدتهم للحكمة في عبادتهم حجرًا، وإنكارهم أن يكون النَّبيُّ بشرًا، فسلبت أرواحهم بالرّيح العقيم، ودمَّرت أشباحهم بالعذاب الأليم، فدلَّ ذلك قطعًا على أنَّه العزيز الحكيم[3].

ولا شكَّ أنَّ كلام البقاعيِّ في محلِّه، فمعظمُ مقصود السّورة يقوم على الإنذار والتَّحذير للكافرين، لكنَّ الخيط العامَّ النّاظم لهذا المقصود ولغيره يقوم على بيان: أنَّ المنهج البشريَّ الحقَّ لا بدَّ أن يقوم على الاستجابة لمنهج الله وحده، والمقرَّر في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه، وليس للمناهج الوضعيَّة البشريَّة؛ لأنَّها لا تصلح

(1) البخاريّ، صحيح البخاريّ: باب: تفسير سورة حم الأحقاف: 4/ 1826.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 5.
(3) البقاعيّ، مصاعد النّظر: 2/ 480 - 481.

لذلك، ولذا فإنَّ تسميتها بسورة الأحقاف إنَّما جاء لارتباط هذا الأنموذج البشريِّ، الَّذي سكن الأحقاف بهذا المحور الَّذي قامت عليه السّورة؛ إذ بيَّن القرآن موقفهم من هذا المنهج الإلهيِّ حين عرضه نبيُّهم عليهم، فتضمَّن هذا الجانب الموجز من قصَّتهم خلاصة هذا المنهج، وأسباب رفضهم له وإعراضهم عنه، ثمَّ ما لحقهم جرّاء ذلك، ﴿*وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ [الأحقاف: 21 - 25]، ثمَّ ربطت السّورة بين قصَّتهم والواقع البشريِّ الَّذي واجهه النَّبيُّ ﷺ، فقالت لقومه: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧﴾ [الأحقاف: 26 - 27].

المحورُ العامُّ للسّورة:

إذا كان محورُ سورة الجاثية الَّتي سبقت هذه السّورة يقوم على بيان تضافر الآيات التَّنزيليَّة والآيات الكونيَّة في كتابي الله المسطور والمنظور، في دعوة النّاس للإيمان بالله وبكتبه ورسالاته، فإنَّ مدار هذه السّورة ومحورها قد جاء مكمِّلًا له ومنبثقًا عنه، فمحورها يقوم على بيان أنَّ المنهج البشريَّ الحقَّ لا بدَّ أن يقوم على الاستجابة لمنهج الله وحده، والمقرَّر في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه، وليس للمناهج البشريَّة؛ لأنَّها لا تصلح لذلك؛ لذا اقتضاها هذا المحور أن تُعرِّض بالمناهج الأرضيَّة الأخرى المستمدَّة من ادِّعاءات البشر: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾.

واقتضاها الأمر أن تردَّ عليهم شبهاتهم حول مصدريَّة المنهج الإلهيِّ في الوحي

محور السّورة يقوم على بيان أنَّ المنهج القويم هو في اتِّباع الوحي الإلهيّ

والرِّسالة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: 8 - 9].

واقتضاها هذا المحور أن تبيِّن وحدة المصدر للمنهج الإلهيِّ، فكلُّ الرِّسالات من مشكاة واحدة: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: 12].

واقتضاها هذا المحور أن تبيِّن أنَّ هذا المنهج الإلهيَّ مركوزٌ في الفطرة، وأنَّه يجب نقْلُه مع الإنسان منذ أن تضعه أمُّه حتّى يبلغ أشدَّه، وأنَّه يقوم على الإحسان للوالدين وترك العقوق لهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: 15] ... ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: 18].

واقتضاها الأمر أن تعرض أنموذجًا سابقًا من قصص الأنبياء من خلال ذِكر قصَّة عاد، يمثِّل خلاصة مواقف الأقوام السّابقة مع أنبيائهم وأسباب إعراضهم عنهم، وما الَّذي حلَّ بهم بعد ذلك.

واقتضاها الأمر أن تبيِّن للنّاس موقف الجنِّ عندما سمعوا بهذا المنهج، وكيف تعاملوا معه، وهو المنهج ذاته الَّذي يجب عليهم أن يتَّبعوه، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ﴾ [الأحقاف: 29] ... ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: 32].

واقتضاها الأمر أن تحذِّرهم عاقبة النّار، الَّتي أُعدَّت لهم إن أصرّوا على كفرهم، وأن توصي الرَّسول والدُّعاة إلى الصَّبر على

تبعات مهمَّة حمل هذا المنهج: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: 35].

موضوعاتُ السّورة وخصائصها:

مَـدارُ السّـورةِ يدور حولَ بيان أنَّ المنهج الحقَّ لا بـدَّ أن يكون باتِّباع منهج الله تعالى

يقول الزُّحيليُّ: موضوع هذه السّورة كسائر موضوعات السّور المكّيَّة، وهو إثبات أصول العقيدة الإسلاميَّة الثَّلاثة: وهي التَّوحيد، والرِّسالة والوحي، والبعث والجزاء.

بدأت السّورة بالحديث عن تنزيل الكتاب، وهو القرآن من الله تعالى، وإنَّما كرَّر؛ لأنَّه بمنزلة عنوان الكتب (الكتابة)، ثمَّ أقامت الأدلَّة على وجود الإله والتَّوحيد والحشر، وذمَّت المشركين عبدة الأصنام، وردَّت عليهم ردًّا دامغًا مقنعًا، وأجابت عن شبهاتهم حول الوحي والنُّبوَّة.

ثمَّ ذكرت حال فريقين: فريق أهل الاستقامة الَّذين أقرّوا بتوحيد الله، واستقاموا على ملَّته، وأطاعوا والديهم، وأحسنوا إليهم، فكانوا أصحاب الجنَّة، وفريق الكافرين الخارجين عن هدي الفطرة، المنهمكين في شهوات الدُّنيا، المنكرين البعث والحساب، العاقّين لوالديهم، بالتَّنكُّر للإيمان والمعاد، فكانوا أصحاب النّار.

ثمَّ ضربت المثل بقصَّة هود ﷺ مع قومه (عاد) الطُّغاة الَّذين اغترّوا بقوَّتهم، وأصرّوا على عبادة الأصنام، فأهلكهم الله بريح عاتية، تدمِّر كلَّ شيء بأمر ربِّها؛ إرهابًا لكفّار قريش، وتحذيرًا من استبدادهم وتكذيبهم رسول الله ﷺ، وإنذارًا بعذاب مماثل جزاء استهزائهم.

كما ذكَّرتهم بإهلاك القرى المجاورة، وبمبادرة الجنِّ إلى الإيمان بما سمعوه من آيات القرآن، ودعوة قومهم إلى إجابة نبي

اللّه والإيمان برسالته، فإنَّ مَن عاند، وأعرض عن إجابة داعي اللّه، فهو في ضلال مبين.

ثمَّ خُتِمت السّورة بالتَّأكيد على قدرة اللّه على البعث؛ لأنَّه خالق السَّماوات والأرض، وبأنَّ تعذيب الكافرين بالنّار حقٌّ كائن لا محالة، وبالتَّهديد بأهوال القيامة، وبأنَّ العذاب أو الهلاك لا يكون إلّا للقوم الفاسقين الخارجين عن حدود اللّه وطاعته، فما على الرَّسول إلّا الصَّبر، كما صبر أولو العزم من الرُّسل، وعدم استعجال العذاب[1].

الخصائصُ الموضوعيَّة لسورة الأحقاف:

تميَّزت سورة الأحقاف بـ خصائص أفردتها عن غيرها من السّور

تميَّزت السّورة الكريمة بتعانق مطلعها مع خاتمتها تعانقًا عجيبًا، فقد تحدَّثت في بدايتها عن الكتاب، واختتمت الآيات الأخيرة منها بالحديث عن إيمان الجنِّ، لمّا سمعوا آيات الكتاب، واستهلَّت كذلك بالحديث عن خلق السَّماوات والأرض وما بينهما بالحقِّ، وختمت بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: 33]، واستهلَّت كذلك بالحديث عن أنَّ الذين كفروا عمّا أُنذروا معرضون، وكان آخر جملة في السّورة هو بيان عاقبتهم: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: 35].

وتميَّزت السّورة الكريمة بموضوعاتٍ وتفصيلاتٍ لم ترد في غيرها من السّور، مثل حديثها عن وجود شرك في السَّماوات للكافرين، وعن نفي النَّبيِّ عن نفسه أن يكون بدعًا من الرُّسل، وعن شهادة الشّاهد من بني إسرائيل على مثل القرآن، وعن تفاصيل حمل الإنسان وبلوغه الأشدَّ، وعن الَّذي قال لوالديه: أفٍّ لكما، وعن تفاصيل في قصَّة عاد اختصَّت بها السّورة الكريمة، وعن استماع

(1) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 26/ 6 - 7.

نفر الجنِّ للقرآن ودعوتهم لقومهم، وعن وصيَّة النَّبيِّ بالصَّبر مثل أولي العزم من الرُّسل وغير ذلك.

الخصائصُ الأسلوبيَّة لسورة الأحقاف:

تميَّزت السّورة الكريمة بجرسها الموسيقيِّ الخاصِّ، فمعظم فواصلها تنتهي بحرف النّون المسبوق بحروف العلَّة بنسبة قد تصل لأكثر من ثلاثة أرباع السورة، وجلُّ آياتها الباقية تنتهي بحرف الميم المسبوقة بحروف العلَّة كذلك، ممّا أعطاها هذا الإيقاع العجيب المنسجم.

وقد تميَّزت السّورة الكريمة بأنساق وأنماط تعبيريَّة فريدة منها، قوله: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ﴾ [الأحقاف: 8]، ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9]، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: 10]، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: 11]، ﴿لَّوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾ [الأحقاف: 11]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾ [الأحقاف: 15]، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: 15]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف: 16]، ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ [الأحقاف: 17]، ﴿*وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: 24]، وغيرها الكثير.

وتميَّزت السّورة الكريمة بكثرة تكرار لفظ (الحقّ) بالجمع؛ إذ وردت خمس مرّات: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: 7]، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: 20]، ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: 30]، ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأحقاف: 34]، وهذا الاعتناء بهذه المفردة مرتبطٌ بمحورها العامِّ القائم على بيان المنهج الحقِّ في اتِّباع الوحي الإلهيِّ.

وقد كثر في السّورة الكريمة استعمال أساليب القصر وطرائقه المتنوِّعة، ومنها: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، و﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: 9]، و﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٧﴾ [الأحقاف: 17]، و﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: 21]، و﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 23]، و﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: 25]، و﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾ [الأحقاف: 35].

وتفرَّدت السّورة الكريمة بصيغ واشتقاقات لم ترد في غيرها من السّور، مثل: ﴿شِرْكٌ﴾، ﴿أَثَٰرَةٍ﴾، ﴿بِدْعًا﴾ [الأحقاف: 9]، ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ [الأحقاف: 17]، ﴿يَسْتَغِيثَانِ﴾ [الأحقاف: 17]، ﴿وَيْلَكَ﴾ [الأحقاف: 17]، ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ [الأحقاف: 20]، ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ [الأحقاف: 20]، ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ [الأحقاف: 22]، ﴿عَارِضٌ﴾ [الأحقاف: 24]، ﴿مُّسْتَقْبِلَ﴾ [الأحقاف: 24]، ﴿أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الأحقاف: 24]، ﴿حَضَرُوهُ﴾ [الأحقاف: 29]، ﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31]، ﴿يَعْىَ﴾ [الأحقاف: 33]، ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ [الأحقاف: 35]، ﴿تَسْتَعْجِل﴾ [الأحقاف: 35]، ﴿مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: 24]، وغيرها.

بيانُ المناسبة بين سورة الأحقاف والسّور المجاورة لها:

سورةُ الأحقاف متَّصلة تمامًا بسورتي الجاثية ومحمَّد مضمونًا وأسلوبًا

هذه السّورة متمِّمة لما تقدَّم في سورة الجاثية، وقد ذكروا هناك وجوهًا من الرَّبط بينهما، ومن ذلك ما جاء عند ابن الزُّبير الغرناطيِّ: لمّا قدَّم ذِكر الكتاب وعظيم الرَّحمة به وجليل بيانه، وأردف ذلك بما تضمَّنته سورة الشَّريعة من توبيخ من كذَّب به وقطع تعلُّقهم، وأنَّه سبحانه قد نصب من دلائل السَّماوات والأرض ما ذكر في صدر السّورة ما كلٌّ قسم منها كافٍ في الدَّلالة وقائم بالحجَّة، ومع ذلك فلم يجرِ عليهم إلَّا التَّمادي على ضلالهم والانهماك في سوء حالهم وسيِّئ محالهم، أردفت بسورة الأحقاف تسجيلًا بسوء مرتكبهم، وإعلامًا بأليم منقلبهم فقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ولو اعتبروا بعظيم ذلك

الخلق وإحكامه وإتقانه؛ لعلموا أنَّه لم يوجد عبثًا، ولكنَّهم عموا عن الآيات، وتنكَّبوا عن انتهاج الدَّلالات: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾، ثمَّ أخذ سبحانه في تعنيفهم وتقريعهم في عبادة ما لا يضرُّ، ولا ينفع، فقال: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ... ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: 6]، ثمَّ ذكر عنادهم عند سماع الآيات، فقال: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ [الأحقاف: 7] الآيات، ثمَّ التَحَمَ الكلام، وتناسق إلى آخر السّورة[1]، وقال الزُّحيليُّ: تظهر مناسبة السّورتَيْن من وجوه ثلاثة، هي:

أولًا: تطابق مطلع السّورتين في: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

ثانيًا: تشابه موضوع السّورتين، وهو إثبات التَّوحيد والنُّبوَّة والوحي والبعث والمعاد.

ثالثًا: خُتِمت سورة الجاثية بتوبيخ المشركين على الشِّرك، وبدأت الأحقاف بتوبيخهم على شركهم، ومطالبتهم بالدَّليل عليه، وبيان عظمة الإله الخالق المجيب من دعاه، على عكس تلك الأصنام الَّتي لا تستجيب لدعاتها إلى يوم القيامة[2].

وأمّا وجه اتِّصالها بسورة محمَّد المدنيَّة؛ فقد بيَّن ابنُ الزُّبير الغرناطيُّ بعض وجوه اتِّصالهما، وممّا ذكره: لمّا انبنت سورة الأحقاف على ما ذكر من مآل من كذَّب، وكفر، وافتُتحت السّورة بإعراضهم؛ خُتِمت بما قد تكرَّر من تقريعهم وتوبيخهم، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ﴾ [الأحقاف: 33]، ثمَّ ذكر عرضهم على النّار إلى قوله: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾ [الأحقاف: 35]، فلمّا ختم بذكر هلاكهم؛ افتتح السّورة الأخرى بعاجل ذلك اللّاحق لهم في دنياهم، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ [محمد: 4] الآية.

وبعد ابتداء سورة محمَّد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١﴾ [محمد: 1]، فنبَّه على أنَّ أصل محنتهم إنَّما هو بما أراده تعالى بهم في سابق علمه؛ ليعلم المؤمنون أنَّ الهدى والضَّلال بيده، فنبَّه على الطَّرفين بقوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨﴾ [محمد: 8]، وقوله في الآخر: ﴿كَفَّرَ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ [محمد:

(1) الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن: 305 - 306.
(2) الزحيليّ، التّفسير المنير: 26/ 5.

2]، ثمَّ بيَّن أنَّه تعالى لو شاء؛ لانتصر منهم، ولكن أمر المؤمنين بقتالهم ابتلاء واختبارًا، ثمَّ حضَّ المؤمنين على ما أمرهم به من ذلك، فقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: 7]، ثمَّ التحمت الآي[1].

وأوجز هذه الصِّلات الزُّحيليُّ بقوله: هذه السّورة (سورة محمَّد) يرتبط أوَّلها ارتباطًا قويًّا بآخر سورة الأحقاف: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: 35]، حتّى إنَّه لو أُسقطت البسملة بينهما؛ لكان الكلام متَّصلًا مباشرة بما قبله اتِّصالًا لا تنافر فيه، كالآية الواحدة[2].

(1) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 306 - 307.
(2) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 26/ 75.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"